جدلية العلاقة بين اللغة والسلطة السياسية في المجتمع المعاصر

-دراسة تحليلية من منظور اجتماعي-

أ.م.د. حمدان رمضان محمد

العراق / جامعة الموصل/ كلية الآداب/ قسم علم الاجتماع

الملخص

استهدف البحث التّعرف على طبيعة العلاقة بين اللغة والسلطة في المجتمع، كون اللغة هي العنصر الاساسي التي تعمل إما بالحفاظ على وحدة و تماسك المجتمع من خلال اداء دورها كأداة رابطة بين الاجيال، والكاشفة عن عادات المجتمع، و مستوياته الثقافية، إما تؤدي إلى انهياره جراء وجود اشكالية في التواصل اللغوي داخل المجتمع بعدّه الركيزة الاساسية في عملية التواصل، والتفاعل، ولعلاج مسارات ودلالات الدراسة استخدمنا المنهج الوصفي التحليلي لتوضيح ذلك.

لذا يعدّ هذا البحث محاولة في التوصل إلى توصيف دقيق للعلاقة بين اللغة والسلطة في داخل المجتمع، فضلا عن التطرق إلى معالجة نقطة اساسية في التحليل تتمحور حول اشكالية التواصل اللغوي في المجتمع، التي كانت نتيجة حتمية لتأثيرات السلبية التي خلفتها ظاهرة العولمة على البنى الاجتماعية جراء الانفتاح، والانكشاف المفرط على ثقافات و اللغات الاخرى دون حدود أو ضوابط، وتوصل الباحث إلى عدة استنتاجات اهمها، أنّ الحياة الاجتماعية شهدت تغييرات كبيرة في العقد الماضي أدت إلى حد ما في تغيير طبيعة علاقات السلطة ومن ثم اللغة على المستوين المحلي والعالمي إلى درجه تفوق ما كان عليه الحال بالسابق، بالإضافة الى أن الانترنيت يعدّ وسيطا رئيسيا جديدا أدى الى نشأة اشكاليات جديدة للتواصل اللغوي.

الكلمات الدالة: اللغة، السلطة، التغيير، المجتمع، المعاصر.

المقدمة

باتت اللغة واحدة من اشد الظواهر الانسانية تشعبا وتعقيدا واتجاها، حتى أصبحت من الامور الصعبة تحديد تعريفا واحدا شاملا دقيقا لها، ويعود ذلك كونها تعدّ من اهم مميزات الانسان الاجتماعية والحضارية والانسانية، لذا فقد تعرف اللغة وتفهم بأنها ظاهرة ليس كأية ظاهرة، وإنما هي ظاهرة فكرية عضوية خاصة بالإنسان دون غيره من الكائنات، وأن تعدد وتباين وجود تعريفا واحدا لها الا انه لم يعدّ بالعملية اليسيرة(الطائي،٢٠٠٩:ص١٩٥)، كما تعد اللغة ارقى ما توصل الية الانسان، وبوساطتها يتم وعي الانسان للأشياء، فلا معرفة من غير لغة، واللغة سبب ما احرزه الانسان من تقدم ووسيلة ما ابدع من علوم ومعارف، فهي عون كبير على الرقي والتقدم وعدّت صالحة لتوجيه الانسانية إلى الكمال(القضماني،١٩٨٤: ص٨).

فاللغة هي التي تدلنا على الانسان نفسه والاشياء، و إي شيء يحدث في هذا الكون لابد وأن يكون مرتبطا باللغة، وكما معلوم أن اللغة هي اهم مميزات الانسان الاجتماعية، فهي عنصرا اساسيا في تكوين المجتمع من خلال بناء علاقة الافراد فيما بينهم من جانب وبينهم وبين المجتمع من جانب الآخر، ولذلك توصف اللغة بأنها احدى المكونات الاساسية في عملية اكتسبت السلوك الاجتماعي للأفراد (الطائي، مصدر سابق: ص٢١٢)، وعنصرا مهما من عناصر الحضارة كونها الوسيلة الرئيسة لتعامل الافراد فيما بينهم(خرما،١٩٧٨: ص٧٢)

ولقد حددنا اللغة بأنها وسيلة رئيسة لتعامل الافراد فيما بينهم، واهميتها تأتي من خلال استخدامها في اوجه الحياة جميعنا ، اذ بها يمكن للفرد أن يعبر عن المشاعر والاحاسيس والانفعالات ونقل الاخبار والمعلومات والتواصل، وفضلا عن المراسيم الاجتماعية، والشعائر الدينية، والعمليات السياسية وغيرها (خرما وعجاج،١٩٨٨: ص١٩). وهناك اهمية للغة تبرز بشكل جلي، الا وهي ارتباطها وقيامها بوظيفة الاتصال بين الافراد في المجتمع، وهذه الوظيفة لا يمكن أن تتم الا بوجود اللغة، فقد مثلت الوسيلة المباشرة التي يمكن من خلالها توصيل ونقل، أو التعبير عن الافكار والمعاني، والانفعالات، والرغبات الموجودة لدى الافراد(المصمودي،١٩٨٥: ص٢٠٩).

لذا فإن مسألة اللغة والسلطة لاتزال قضية مهمة وملحة، ولكن الحياة الاجتماعية شهدت تغييرات كبيرة في العقد الماضي، أدت الى حد ما إلى تغيير طبيعة علاقات السلطة غير المتكافئة، ومن ثم إلى تغيير برامج الدراسة النقدية للغة، فعلاقات السلطة على المستوى الدولي والعالمي بصفة خاصة، اصبحت تشكل وتحدد ما يحدث على المستويين الوطني والمحلي إلى درجة تفوق ما كانت عليه الحال، حتى منذ عشر سنوات وحسب، وما تتضمنه من دلالات لمسألة اللغة والسلطة. وليس معنى هذا أن هذه التغييرات تنفي اهتمامات أو

تجعلها من القضايا التي تجاوز الزمن، ولكنها تعني اننا عندما نجري بحوثا في علاقة اللغة بالسلطة في أطر وطنية أو محلية، فلا بد لنا أن ندرك أن هذه الاطر تتعرض للتأثير بالأحداث الدولية والعلاقات القائمة على هذا المستوى، و تسهم هذه الاطر يمكن في تشكيل هذه الأحداث والعلاقات(Chouliarki, L. and Fairclough, N.1999)

بالإضافة إلى ذلك فقد شهد العقد الماضي تغييرات أخرى متنوعة ترتبط بمسألة اللغة والسلطة ولأكتف بذكر تغيير يحظى باهتمام بالغ، الا وهو نشأة الانترنيت وتطورها، اذا إن الانترنيت يعتبر وسيطا رئيسيا جديدا أدى إلى نشأة اشكال جديدة للتواصل، كما ادت الانترنيت الى التفاؤل معين بشأن اوجه التفاوت في السلطة، اذ تتسم بحرية الدخول اليها، وتجسد شكلا من اشكال التواصل الذي يتسم نسبيا بالمساواة، إذ تسمح بأشكال من التواصل خلالها تعد بإمكانات جديدة للتعبئة الاجتماعية والسياسية، وما إلى ذلك سبيل، ويبدو أن التواصل من خلال الانترنيت يمكن أن يؤدي إلى تغييرات مهمة فيما اطلق عليه بالنظام الخطاب المجتمعي، وان كان علينا اذا اردنا تقدير مدى هذه التغييرات أن ننظر إلى مواقع الانترنيت في جميع المواضيع الشاملة لنظام الخطاب لا أن ننظر اليها بمعزل عن سواها(فيركلف،٢٠١٦: ص٩-١٠).

كما إن القضايا الخاصة باللغة والسلطة تحظى اليوم بعناية اكبر في السياسة والمجال العام مما كانت تحظى به منذ عقد أو عقدين، وهناك انطباع عام ومعيار يعد انطباعيا تماما. الا وهي تعدّ المقالات السياسية التي تناقش اللغة مناقشة نقدية في الصحف اليوم. ومدى اسهام الكتب اللغة والسلطة في هذه الظاهرة فامر لا استطيع الجزم فيه، وذلك لتغيير الاحول الاجتماعية والخطاب في الوقت الراهن، وعلية سوف نتناول في هذه الورقة المتواضعة ما يتعلق بعلاقة اللغة بالسلطة في المجتمع الانساني، وعلى النحو التالي.

اشكالية البحث.

تتسم الحياة الاجتماعية في مطلع القرن الحادي والعشرين بمفارقة معينة، فاذا كانت قد اتيحت فيما يبدو مساحة غير مسبوقة للاختلافات الفردية والجماعية، فإننا نواجه في الوقت نفسه نوعا، من التقنين لبعض الجوانب الحياة الاجتماعية، وهو يعدّ إلى حد ما تقنيا للخطاب، واعني بذلك تضييق نطاق اساليب استخدام اللغة ونطاق ضروب الخطاب المتاحة لتمثيل العالم، اي ظهور اشكال قوية من ضروب المهيمنة، وطرائق استخدام اللغة وانتشار هذه جميعا عبر شتى مجالات الحياة الاجتماعية، وكذلك من خلال عولمة الخطاب عبر مختلف البلدان، ويتضح هذا الاتجاه إلى الاغلاق في شتى مجالات الحياة الاجتماعية، في العمل، وفي السياسية، وفي الحياة الثقافية. ولكنه لم يسلم من التشكيك فيه، ومن اساليب ذلك اعتبار

المفارقة التي اشرت اليها سابقا محاولة لتقويض الانفتاح في اسلوب الحياة الاجتماعية وفي الخطاب الذي شهدته الستينات والسبعينيات والايحاء بأن الاتجاه إلى التقنين اتجاها خلافيا تحاصره الشكوك(Fairclough, N.L. 2000) .

فضلا عن ذلك فإن هذه العلاقة قد تغيرت نوعا ما في ظل التطور العلمي و التكنولوجي الهائل الذي نعيش فيه اليوم، مما ساهم و بشكل كبير في تحول منحى اللغة، و انحرافها عن مسارها، وسياقها الصحيح، بالشكل الذي طرح اشكالية التواصل اللغوي في المجتمع، وصعوبة تحديد العلاقة بين اللغة كوسيلة اتصال، وتواصل، والسلطة في المجتمع باعتباره الوحدة الاساسية للتفاعل، وعلى هذا الاساس يعتبر موضوع اللغة، وعلاقتها بالمجتمع من القضايا المهمة، والشيقة في الدراسة والبحث.

وان الانسان مخلوق اجتماعي بطبعه لا يستطيع العيش بشكل مفرد، كونه في حالة تفاعل مستمرة، و دائمة مع اقرانه، هذا التفاعل الذي يكون دائما مبني على ضرورة توفر وسيلة، وآلية واحدة و مهمة وهي اللغة، التي لا يمكن فصلها عن الانسان كونها ظاهرة فكرية مرتبطة به دون غيره من الكائنات الحية.على أثر ذلك باتت اللغة واحدة من أشد الظواهر الانسانية تشعبا، وتعقدا باعتبارها نظاما معقدا من الرموز التي تحمل في طياتها معانٍ مختلفة، فهي من اهم المنافذ المستخدمة من اجل الولوج الى عمق الثقافة والبنية الاجتماعية للناس بل وصياغتها وتوريثها لتكون بذلك واحدة من اهم العوامل الاساسية في تكوين وبناء المجتمع، لتشارك و بشكل اساسي وفعال في تحديد الهوية الجماعية للمجموعة البشرية التي تتحدث بها، وهذا الذي يؤكد على وجود علاقة بين كل من اللغة و المجتمع،فهما وجهان لعملة واحدة لا يوجد مجتمع دون لغة ولا لغة دون مجتمع. خاصة في الوقت الحالي عندما اصبح المجتمع يعاني من معضلة مهمة، الا وهي صعوبة التواصل اللغوي داخل المجتمع الواحد(مزياني،٢٠١٧: ص٢)، هذا ما دفعنا إلى البحث في هذا الموضوع.

تساؤلات البحث.

يستوجب البحث في العلاقة والارتباط بين اللغة والسلطة من خلال طرحنا التساؤلات التالية.

ماهي علاقة اللغة بالمجتمع؟. هل هناك اشكالية في طبيعة التواصل اللغوي وعلاقتها بالسلطة؟. هل أن علم اللغة الاجتماعي يبدو فيه التأثر الشديد بالتصورات الوضعية للعلوم الاجتماعية؟. هل يميل الباحثون إلى النظر في الاختلافات اللغوية الاجتماعية في مجتمع معين؟. كيف نرى علم اللغة السياسي طبيعة العلاقة بين السلطة واللغة في المجتمع معين؟. ما حقائق الاختلاف والتنوع في اللغة؟. لماذا أصبحت الحقائق على هذه النحو في اللغة؟. كيف نشأة علاقات السلطة في المجتمع وتطورها على النحو النظام اللغوي الاجتماعي

الحالي؟. وكيف يتسنى له البقاء؟. كيف يمكن تغييره حتى يعود بالفائدة على الذين يخضعون لسيطرته؟. كيف تؤثر المنطق الايديولوجي في معان التعبيرات اللغوية والممارسات العرفية للكلام والكتابة، والذوات الاجتماعية والمواقع الاجتماعية للخطاب؟. كيف يستطيع المحللون أن ينقلوا منطق اللغة من موقعه في الخلفية إلى موقع الصدارة ؟. ما العلاقة بين التغير الايديولوجي والصراع الاجتماعي؟. كيف يتولد المنطق الايديولوجي للخطاب في غضون الصراع؟. إلى إي حد تعد الايديولوجيات متغيرة في مجتمع ما؟. وكيف يمكن أن تتجلى ملامح هذا الخطاب في اللغة بالمجتمع.

اهمية البحث.

تتجلى اهمية هذا البحث في اللغة والسلطة عن طريق اهمية اللغة بأنها جديرة باجتذاب عناية جميع الباحثين بالبحث والغور في دراسته وخاصة المهتمين بالعلاقات السلطة بالمجتمع الحديث الذي كان يتجاهل اللغة، بالإضافة إلى ذلك لقد ظفر علم اللغة بقبول واسع النطاق داخل العلوم الانسانية، وما يتجاوزها بسبب المكانة المركزية للغة بين الظواهر البشرية، وكما تأتي اهمية الموضوع لما تؤديه اللغة من دور في ترسيخ الروابط بين استعمال اللغة وعلاقات السلطة في المجتمع المعاصر عن طريق زيادة الوعي لدى الافراد بالأسلوب الذي تساهم به اللغة في تمكين بعض الافراد من السيطرة على البعض الآخر، لأن الوعي يمثل الخطوة الاولى على طريق التحرر، فضلا عن ذلك تأتي اهمية البحث، بأن اللغة ترتبط ارتباطا اساسيا بالسلطة وضروب الصراع على السلطة وخطاباتها من جهة، وما تضطلع به اللغة من دور في انشاء علاقات السلطة الاجتماعية والحفاظ عليها وتغييرها بالمجتمع من جهة أخرى.

فضلا عن ذلك تأتي ضرورة الاهتمام المجتمع الحديث بطبيعة العلاقات اللغة بالسلطة لما لها من وظيفة اساسية تؤديها في المجتمع المعاصر في الوقت الراهن، بالإضافة إلى ذلك فإن تجاهل اللغة للمساعدة على تصحيح ظاهرة واسعة الانتشار وهي التقليل من اهمية الدور الذي يضطلع به اللغة في أن شاء علاقات السلطة الاجتماعية والحفاظ عليها وتغييرها، كما تأتي اهمية الموضوع من القصور في المستوى العام للاهتمام باللغة، والحساسية لها عندما تتجاهل اشد وظائفها الاجتماعية حسما وهو امر يدعى الى الاسى وضرورة الاهتمام.

اهداف البحث.

استهدف البحث إلى تحقيق عدة اهداف منها:

١. التّعرف على علم اللغة الاجتماعي والسياسي من منظور سوسيولوجي.
٢. تحديد دلالات ومسارات اللغة والسلطة.
٣. التعرف على طبيعة العلاقة بين اللغة والسلطة في المجتمع.
٤. ابراز العلاقة الجوهرية بين اللغة والايديولوجيا والخطاب باعتبارهم ممارسات اجتماعية.
٥. تفسير الاتجاهات النظرية المفسرة لعلاقة اللغة بالسلطة في العلوم الاجتماعية والانسانية.

التعريف بالمفهوم علم اللغة الاجتماعي.

لم تكن كلمة اللغة تعني في معناها ومفهومها كما تدل عليه في الوقت الحاضر، وذلك لما اصابها من تطور لغوي كبير في معانيها المخالفة ودلالاتها وتشعب فروعها. وكان العرب يعبرون عن افكارهم بكلمة أخرى هي "اللسان" كونها عدت الكلمة المشتركة بالفظ والمعنى في معظم اللغات السامية شقيقات اللغة العربية(انيس،١٩٦٣:ص١٧).

وان انتقاء تعريف محدد للغة ليس بالعملية اليسيرة، نظرا لتعدد تعريفاتها، ومن ثم يفضل بعضهم أن تعريف اللغة من خلال استعمالاتها المختلفة، ولهذا فإن اللغة اتخذ عدة معان بالنسبة لعلماء اللغة. و جاء في الصحاح أن(لغا، يغلو، لغوا)، اي قال باطلا. يقال: لغوت باليمين، واللغا: الصوت مثل الوغا، ولغي به، إي لهج به، ولغي بالشراب: اكثر منه(الصحاح،د.ت:ص٤٤٦).

ويقول أبن منظور عن فعلة، من لغوت – اي تكلمت، صلها لغوة، ككرة ،وقلة(ابن منظور، د.ت: ص ل .غ. و).واللسن "بكسر الام" بمعنى اللغة، ويقال لكل قوم لسن، إي لغة يتكلمون بها(الصحاح، د.ت: ص٢١٩٥). وقد وردت كلمة لسان في القرآن الكريم بمعنى "اللغة" كما في قوله تعالى((وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ))(سورة ابراهيم، الآية ٤). وكقوله تعالى((وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٞ)) (سورة النحل،الاية١٠٣).

وعلى هذا الاساس تعرف اللغة بأنها(ظاهرة فكرية عضوية خاصة بالإنسان دون غيره من الكائنات الحية، فهي اذن صفة مميزة للجنس البشري)(جعفر،١٩٧١: ص٥٧).ويقول "اوتويسبرسن" أن اللغة ليست في حقيقتها سوى نشاط انساني يتمثل من جانب في جهود عضلي يقوم به فرد من الافراد، ومن جانب آخر يتمثل في عملية ادراكية ينفعل بها فرد أو افراد اخرون(شرف،١٩٧٩:ص٦٨). ويرى" فردينان دي سور" إنها إي اللغة نظام أو انتاج اجتماعي لملكة اللسان، وهي "مجموعة من التقاليد الضرورية التي تبناها مجتمع ما ليساعد

على ممارسة هذه الملكة"(علم اللغة العام،١٩٨٥:ص٢٧) و(باي،١٩٨٣).واللغة كما يراها أبو الفتح عثمان بن جني : هي" اصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم"(الوافي، ١٩٤٦: ص٤).

وتنظر المدرسة الفرنسية للغة على أنها" نظام اجتماعي و موروث مشترك، و استعمال اللغة في عملية التواصل هو من يحدد وظيفتها الادراكية في التمييز بين المعاني و تعبير عنها"(حسام الدين، د.ت: ص٤٦) و(ناصف،١٩٩٥). كما يمكن أن نعرف اللغة على أنها" نظام يتواصل به الافراد داخل المجتمع، و فقا لاتفاق عرفي اصطلاحي يسهل من عملية الاتصال و التواصل بين افراد المجتمع الواحد".وتعرف اللغة كذلك على أنها" مجموعة من التقاليد الصوتية التي ورثتها الجماعة اللغوية عن اسلافها والتزمت بها" (الطائي،مصدرسابق:ص١٩٦-٢٢٠).

لذا يستخدم مصطلح علم اللغة أو اللغويات استخداما يكتنفه الغموض داخل التيار الرئيسي، فأحيانا ما يشير إلى جميع فروع دراسة اللغة داخل المبحث الاكاديمي لعلم اللغة وبعضها لا ينتمي الية، ولكنه يشير احيانا إلى الفرع الذي يتمتع بأقصى درجة من درجات التميز، إي علم اللغة الحقيقي، كما يسميه البعض احيانا. ولقد ظفر علم اللغة بقبول واسع النطاق داخل العلوم الانسانية وما يتجاوزها بسبب المكانة المركزية للغة بين الظواهر البشرية، ولدراسة اللغة بين العلوم الانسانية. وكان سبب نجاحه في هذا قدرته على وضع مجموعة منتظمة باهرة من التقنيات المنهجية لوصف اللغة، التي اصبحت منهلا واسع النطاق للنماذج المستعملة في العلوم الانسانية الاخرى، والتي يستطيع كذلك اي مدخل حديث لدراسة اللغة بما في ذلك الدراسة النقدية للغة ان ينتفع بها(Radford, A .,1999)

فمن المفارقات أن علم اللغة لم يلتفت الا التفاتا ضئيلا نسبيا إلى كلام المنطوق أو الكتابة المكتوبة فعلا، اذ يصور اللغة في صورة الطاقة الممكنة، او النظام او المقدرة المجردة، بدلا من محاولة وصف الممارسة اللغوية الفعلية، وحسبما يقول فرديناند دي سوسير، أحد مؤسسي علم اللغة الحديث، يهتم علم اللغة بدراسة اللغة لا الكلام. وقد اخذ لتيار الرئيس لعلم اللغة افتراضين حاسمين عن اللغة من سوسير، الاول يقول إن لغة إي مجتمع معين يمكن من زاوية الاغراض العلمية جميعا، أن تعتبر ثابتة لا تتغير في شتى ارجاء ذلك المجتمع، فدراسة اللغة يجب أن تكون انية لا زمنية، اي يجب أن تدرس باعتبارها نظاما ساكنا في اي لحظة زمنية، لا باعتبارها نظاما ديناميكا يتغير عبر الزمن. ويؤدي هذان الافتراضان، وتجاهل الممارسة اللغوية، إلى نشأة صورة مثالية للغة، تعز لها عن اطارها الاجتماعي والتاريخي الذي لا تستطيع أن توجد في الواقع خارجة. فالتيار الرئيسي لعلم اللغة اسلوب غير اجتماعي

لدراسة اللغة ، وليس لدية ما يقوله عن العلاقات بين اللغة والسلطة والايديولوجيا(Ibed,p.33).

ونشاء علم الاجتماع اللغة الاجتماعي، إلى حد ما، تحت تأثير بعض المباحث من خارج علم اللغة اهمها الانثروبولوجيا وعلم الاجتماع وكان يمثل رد فعل على التجاهل الذي يبديه علم اللغة الحقيقي، للتنوع اللغوي نتيجة للأحوال الاجتماعية. ويرى بعض الممارسين أن علم اللغة الاجتماعي يتكامل مع علم اللغة الحقيقي، بمعنى إن الأخير يدرس النظام اللغوي الثابت، وأن الاول يدرس الممارسة اللغوية المتغيرة اجتماعيا الاستعمال. ويرى اخرون أن علم اللغة الاجتماعي يطعن في الجوانب غير الواقعية اجتماعيا للتيار الرئيسي لعلم اللغة. ولقد بين الباحثون في علم اللغة الاجتماعي بعض جوانب التوافق المنتظمة بين الاختلافات في الشكل اللغوي صوتيا وصرفيا وتركيبيا وبين المتغيرات الاجتماعية، مثل الطبقات الاجتماعية التي ينتمي اليها المتحدثون، والعلاقات الاجتماعية بين المشاركين في ضروب التفاعل اللغوي، والاختلافات في الاطر أو المناسبات الاجتماعية، والاختلافات بين الموضوعات المطروحة، وما الى ذلك سبيل(Coupland ,N. and Jaworski, A. 1997).

منهجية البحث.

يعدّ هذا البحث من البحوث الوصفية التحليلية، الذي استخدمنا فيها المنهج الاستقرائي والاستنتاجي والاستنباطي، بالإضافة إلى ما ورد من ادبيات العلمية المكتوبة في هذا المجال لتحليل محاور الدراسة ومناقشتها.

طبيعة علاقة اللغة بالسلطة من منظور اجتماعي.

يعد علم اللغة السياسي أحد فروع علم اللغة الاجتماعي، الذي يهتم بتحليل عناصر و مكونات الخطاب السياسي خاصة عنصر اللغة و دوره في المجتمع، من خلال دراسة دور و اهمية الخطاب السياسي و كيف يؤثر على الفرد و منه على المجتمع، من منطلق طبيعة اللغة المستخدمة في تحرير الخطاب فعلى سبيل المثال: تؤثر استخدام لغة العنف و تحريض في الخطب السياسية بشكل يعكس صورة سلبية عن المجتمعات وعلاقاتها، هذا ما نجده في الخطب السياسية الدينية المتطرفة التي استطاعت جذب انتباه الكثير من الشباب العربي و غيره ناقص الوعي والخبرة، للالتحاق بجماعات ارهابية تحت مسمى الدفاع عن الدين الاسلامي، واحسن مثال على ذلك هو ما يعرف بداعش التي تمكنت من خلال خطابتها استقطاب العديد من الشباب والنساء من مختلف دول العالم.

هذا ما يؤكد على دور هذا النوع من الخطابات في السياسة العالمية في اطار التفاعلات داخل البنى الاجتماعية، التي تؤثر فيها الافكار التي يحملها افراد المجتمع على تشكل هذه البنى و الوحدات، و تحديد العلاقات بين الدول مثلا: استخدام الدول الاوروبية في خطاباتها حول محاربة الهجرة غير الشرعية لغة تشدد على خطورة الظاهرة على الامن الاوروبي و ضرورة محاربتها، والتصدي لموجات الهجرة القادمة من الجنوب، وبالتالي لغة هذا الخطاب اكسبت موضوع الهجرة غير الشرعية طابع الأمنية و حددت علاقة الدول الاوروبية مع دول الجنوب في هذا الصدد(مزياني، مصدر سابق: ص١١).

وتعتبر علاقة اللغة بالمجتمع من المواضيع، والقضايا الشيقة في بحث والتحليل، حتى إن هذه العلاقة كانت وراء بلورة ما يعرف بعلم اللغة الاجتماعي الذي يهدف إلى دراسة علاقة اللغة بالمجتمع، و اعتبارها علاقة تأثير وتأثر، بمعنى آخر هو البحث في كيفية تأثير اللغة في المجتمع و كيف يوثر هو فيها، على هذا الاساس يعرف علم اللغة الاجتماعي على انه دراسة للغة في علاقاتها بالمجتمع(هدسون، ١٩٩٠:ص١٧) .كما إنه يدرس الطرائق التي تتفاعل بها اللغة مع المجتمع، والطرائق التي تتغير بها البنية اللغوية استجابة لوظائفها الاجتماعية، من خلال تحديد القوانين العامة التي تتحكم في الاستعمال الفعلي للغة في مجتمع معين او في جميع المجتمعات(خرما، مصدر سابق: ص١٧٠). ولتوضيح اكثر نقدم مجموعة من الامثلة لتحديد كيف تؤثر اللغة في تحديد طبيعة المجتمع الموجودة فيه:

١-تفسير مميزات الفلسفة الالمانية على اساس الطبيعة الخاصة لبنية اللغة الالمانية، هذا الذي يوضح العلاقة بين اللغة وحضارة المجتمع.

٢-أكد الدراسون لعلاقة اللغة بالمجتمع من منطلق علم اللغة الاجتماعي، أن اللغة التي تتبع فيها الصفة الموصوف كما هو موجود في اللغة العربية و الفرنسية تدل على أن المجتمعات التي تتحدث بهذا النوع من اللغة تستخدم الطريقة الاستنتاجية في التفكير، بينما اللغة التي تسبق فيها الصفة اسم الموصوف كاللغة الانجليزية تدل على أن المجتمع يستخدم الطريقة الاستقرائية في التفكير(المصدر نفسه: ص١٨٠)

ونصل من خلال هذا الطرح الى أن علم اللغة الاجتماعي يهدف إلى شرح لماذا نتكلم بشكل مختلف في سياق اجتماعي مرتبط، و بشكل كبير بتأثير عوامل مختلفة، مثل: الطبقة والعرق والعمر والجنس، بالإضافة الى ذلك يدرس هذا العلم اللهجات واللغات في الاتصال والتعليم وقيمة علم اللغة الاجتماعي تكمن في قدرته على ايضاح طبيعة اللغة بصفة عامة، و ايضاح الخصائص والحقائق المحدد للغة بعينها، لأن ادراك هذه الاخيرة يزيد من القدرة على فهم المجتمع بطريقة صحيحة ودقيقة(مزياني، مصدر سابق: ص١١).

وإن البحث في اللغة والسلطة يدور حول العمل الذي تؤديه اللغة للحفاظ على علاقات السلطة وتغييرها في المجتمع المعاصر، وحول اساليب تحليل اللغة بحيث تكشف عن هذا العمل بشقيه، وحول زيادة وعي الناس، وزيادة قدرتهم على مقاومته وتغييره، وأن الباحثين في علم اللغة، وخصوصا في علم اللغة الاجتماعي الذي كثيرا ما يقال إنه يتناول اللغة في سياقها الاجتماعي، لذا قد قالوا الكثير فعلا عن اللغة والسلطة ولم يوفرها حقها. فلقد شهدنا على سبيل المثال، دراسات كثيرة عن اللهجات الاجتماعية المعيارية ،وغير المعيارية، وكيف تعتمد الهيبة المرتبطة بهذه اللهجات على سلطة من يستعملها، كما شهدنا ايضا دراسات عن اساليب ممارسة السلطة في المحادثة وغيرها من صور التخاطب بين الافراد، وان كانت دراسات قليلة، وهو امر قد يدعو الى الدهشة(فيركلف، مصدر سابق:ص٩-١٧).

والواقع أن هذه الدراسات تتشد بصفة عامة، وصف الاعراف السائدة بعلم اللغة الاجتماعي من حيث تفاوتها في توزيع السلطة، ولكنها لا تتشد شرح هذه الاعراف باعتبارها من ثمار علاقات السلطة وضروب الصراع على السلطة، والقضية ان الاعراف ذات علاقة مزدوجة بالسلطة، اذ إنها من ناحية تتضمن اشكال الاختلاف في السلطة ،ومن ناحية أخرى تنشأ من علاقات محددة للسلطة، وتنشئها ايضا. ولا تنحصر المسألة في أن اللغة قد اصبحت ما يمكن وصفه بالوسيط الاولى للسيطرة الاجتماعية والسلطة، وأن كان ذلك مبررا كافيا في ذاته، ولكن اللغة قد شهدت نموا هائلا من حيث المهام الملقاة على عاتقها، ومن حيث النطاق الواسع لأنواع اللغة، ومن حيث تعقيد الطاقات اللغوية المتوقعة من المواطن الحديث(Kramarae,C.1984).

وتعدّ مسائل اللغة والسلطة ذوات اهمية جوهرية في تفهم النظام العالمي الجديد، وفي سياسات النظام الجديد، مادامت للغة اهمية متزايدة في الحياة الاجتماعية، وضروب الصراع من اجل فرض النظام جديد أو مقاومته، تعتبر في جانب منها صراعات على اللغة، إي حول الطرائق الجديدة لاستعمال اللغة، وحول الصور اللغوية الممثلة للتغير، وعنده الحديث عن "عولمة الخطاب" و" خطاب العولمة" الذي مافتىء يزداد قوة وباسا، وسوف اوضح دور اللغة في فرض النظام الجديد وفي مقاومته بأمثلة من اساليب عمل الشركات المتعددة الجنسيات، وظهور خطاب سياسي دولي جديد يمثل يسار الوسط "الطريق الثالث" والمعارضة من بعض التيارات السياسية (فيركلف، مصدرسابق: ص٣٢٢).

سؤال يطرح نفسة لماذا مسألة اللغة والسلطة مسالة جوهرية في التحليل الاكاديمي للنظام العالمي الجديد وضروب الصراع حوله، ربما لأننا نشهد ظاهرة مهمة ومستمرة هي التحول إلى اللغة في الحياة الاجتماعية المعاصرة، إي أن اللغة اصبحت عنصرا تزداد اهميته باطراد في الحياة الاجتماعية، والعولمة نفسها تشير إلى جانب من اسباب هذه الظاهرة. فالعولمة تقتضي

العمل عن بعد ومعنى هذا أن العمليات الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية قد اتسعت رقعتها فاصطبحت في مساحات شاسعة من حيث الحيز الجغرافي والاختلافات الاجتماعية والثقافية، ومن ثم فإن الصور الممثلة لهذه العمليات وهذه العلاقات في الخطاب تزداد اهميتها باطراد للحفاظ على نوع ما من النظام داخل التعقيد الظاهر، فإن جانبا مما يربط الاشخاص بعضهم الى بعض كترابط العاملين في شركة متعدد الجنسيات على سبيل المثال يعتمد على اشتراكهم في تصور ما يؤدونه من الاعمال، ولكن اللغة، في الوقت نفسه ،تزداد اهميتها لما يؤدونه من اعمال(المصدر نفسه: ص٣٢٤) و(كفالي،٢٠٠٨).

اذ إن ما تقوم به الشركات المتعددة الجنسيات، وما تنتجه وتبيعه من بضائع وخدمات، يزداد ارتباطه بالطرائق الخاصة لاستخدام اللغة، والتحول إلى اللغة يعني أن الكفاح في سبيل فرض النظام الجديد أو مقاومته يعتبر الى حد كبير كفاحا في سبيل لغة جديدة أو ضدها، وهكذا يصبح البحث النقدي في اللغة عنصرا مهما من عناصر السياسة الخاصة بالنظام العالمي الجديد ، وهذه الفرصة متاحة مثلما هي، تحد للدراسة النقدية للغة فلها ان تسهم اسهاما له وزنه في القضايا ذات الاهمية الحيوية لمستقبل البشرية.

الايديولوجيا وعلاقتها باللغة في الاحوال الاجتماعية.

تحقق الايديولوجيا اقصى فاعلية لها عندما تعمل في اقصى درجات الخفاء، فاذا ادراك المرء أن جانبا معينا من المنطق السليم يتسبب في الحفاظ على ضروب التفاوت في السلطة على حسابه، لم يعد ذلك المنطق منطقا سليما، وقد يفقد القدرة على الحفاظ على ضروب التفاوت في السلطة ،اي في اداء مهمته الايديولوجية. وإما الخفاء المشتر اليه فيتحقق عندما تتسرب الايديولوجيات إلى الخطاب لا باعتبارها عناصر صريحة في النص بل باعتبارها افتراضات في خلفيته تدفع منتج النص إلى رسم صورة العالم في النصر بأسلوب معين من ناحية، وتدفع مفسر النص إلى تفسيره بأسلوب معين، من ناحية أخرى، فالنصوص لا تصرح عادة بالأيديولوجيات، ولكنها تقدم للمفسر مفاتيح معينة تجعله يستعين بالأيديولوجيات في تفسيره للنصوص، فيعيد انتاج هذه الأيديولوجيات في غمار ذلك(Gramsci,op,cit)

ومن بين شتى الاشكال التي يمكن أن يتخذها الصراع الاجتماعي شكل الصراع الايديولوجي وهو الشكل الذي يكتسب اهمية خاصة في هذا السياق؛ لأن الصراع الايديولوجي يقع بأبرز صورة في اللغة. ولنا أن نعتبر أن هذت الصراع لا يقع فقط داخل اللغة بالمعنى الواضح الذي يقع به داخل الخطاب، وهو الذي تشهد عليه النصوص اللغوية، بل ايضا من حيث إنه يقع حول اللغة، بمعنى أن اللغة نفسها تجمع بين كونها غاية للصراع الاجتماعي وموقعا لهذا الصراع، والظفر بسلطة البت في بعض الامور مثل معاني الكلمات وتحديد المعايير اللغوية او التوصيلية التي تعتبر مشروعة أو صحيحة أو مناسبة ،يمثل جانبا مهما

من جوانب السلطة الاجتماعية والايديولوجية، ومن ثم فهو موقع يدور حولة الصراع الايديولوجية، وهكذا فان النظر الى الممارسات اللغوية القائمة وتظم الخطاب باعتبارها شواهد على الانتصارات والهزائم في الصراعات السابقة، وبصفتها ايضا غنائم متنازع عليها، إلى جانب المفهوم التكميلي للسلطة من وراء الخطاب سمة كبرى تتميز بها الدراسة النقدية للغة وهي السمة التي تميز هذه البحث عن التيار الرئيسي الوصفي لدراسة اللغة(فيركلف، مصدرسابق: ص١٢٥) و(Thompson ,JB. 1984).

فضلا عن ذلك تؤثر البنية الاجتماعية على البنية اللغوية، و تظهر هذه العلاقة من خلال أن اختلاف الفئة العمرية يؤثر في اسلوب اللغة المستخدمة، هذا اسلوب الذي دائما ما يكون متأثر بالأصل الاجتماعي، و كل مكوناته من جنس و عرق و نوع، هذا يعني أن استخدام اللغة يتأثر بالعوامل الاجتماعية(Raymond Hickey, Without a year ,p.2). بالإضافة إلى ذلك تأثير اللغة على البنية الاجتماعية، واحسن مثال على ذلك هو أن اللغة يمكن أن تمنح للمتحدث بها امتيازا داخل المجتمع، كما هو حال اللغات الاجنبية في دول العالم الثالث(بو دوح،٢٠١٢).

وعليه فقد تم توضيح هذه العلاقة المهمة بين المنطق السليم والايديولوجيا من خلال ما قدمه وقام به الماركسي الايطالي (انطونيو جرامشي) لاستكشاف هذه العلاقة مشيرا الى وجود شكل من اشكال النشاط العملي يتضمن فلسفة في صورة مقدمة منطقية نظرية مضمرة والى وجود تصور معين للعالم يتضح اضماره في شتى مجالات النشاط الانساني والحياة العامة وجميع تجليات الحياة الفردية والجماعية وهذا التصور للأيديولوجيا باعتبارها فلسفة مضمرة في الانشطة العملية للحياة الاجتماعية، كامنه في الخلفية ومسام بوجودها، هو ما يربطها بالمنطق السليم وهو المصطلح الذي يتوسع جرامشي نفسه في استعماله في هذا الصدد(Gramsci,1971,op cit).

جدلية اللغة والخطاب في النسق الاجتماعي.

إن النظر الى اللغة من وجهة نظر الخطاب بعبارة اللغة باعتبارها شكلا من اشكال الممارسة الاجتماعية، فما المعنى الدقيق الذي تحمله هذه العبارة ،اولا إن اللغة جزء من المجتمع وليست خارجه عنه بصورة ما، وثانيا أن للغة عملية اجتماعية، وثالثا ان اللغة عملية يتحكم فيها المجتمع، اي إنها اخضع لتحكم جوانب اخرى غير لغويـــة فـــي المجتمـــع (Fairclough, N. and Wodak, R.1997)&(Van Dijk,1997). ويوصف تحليل الخطاب في الآونة الأخيرة بأنه موضوع بيني جديد، يسهم في عدد كبير من المواضيع الراسخة ومن بينها علم اللغة، وعلم الاجتماع، والانثروبولوجيا، وعلم النفس المعرفي وغير ذلك

من العلوم، ويتضمن تحليل الخطاب بهذا المعنى الواسع عناصر قريبة الشبه بما اطلق عليه أن مصطلح الدراسة النقدية للغة، وسوف اركز على تحليل المحادثة، وهو مدخل بارز من مداخل تحليل الخطاب الذي انشاته مجموعة من علماء الاجتماع تعرف باسم "علماء المنهجية العرقية"(Mells,S.1997) &(Brown, G. and Yule, G.1983).

ويبحث هؤلاء عملتي الانتاج والتفسير لكل حدث يومي باعتبارهما من المنجزات التي تدل على مهتره الفاعلين الاجتماعين، كما يهتم هؤلاء العلماء بالمحاثة باعتبارها نموذجا شائعا إلى حد كبير للحدث الاجتماعي القائم على المهارة، ومن جوانب القوة في تحليل المحادثة أنه يستخدم عينات مديدة من المحادثة الحقيقية، وقد اثبت أن المحادثة تتسم ببناء منهجي، وأن الادلة متوافرة على توجهات المشاركين في هذه الابنية، وذلك الى جانب الطرائق التي يحددون فيها ادوارهم في المحادثة ويردون على ادوار الاخرين، وهذه الابنية ابنية اجتماعية، ومن أحدى المهتم الرئيسية للتحليل المذكور اثبات وجود هذه الابنية الاجتماعية وظهورها في كل عمل يومي، اي انها ليست مجرد خصيصة من خصائص الابنية المجتمعية المجردة الكبرى (Althusser, L.1971).

وأن استكشاف شتى علاقات السلطة واللغة يأتي من خلال جانبين رئيسيين من جوانب علاقة السلطة باللغة وهما:

اولا: السلطة في داخل الخطاب.

وثانيا: السلطة من وراء الخطاب.

لأن القسم الخاص بالسلطة في داخل الخطاب يتناول الخطاب باعتباره مكانا تمارس فيه علاقات السلطة وتتجسد في الواقع الفعلي، لأن نقاش السلطة في الخطاب المنطوق في المحادثات المباشرة اي التي توصف بأنها تجري وجها لوجه، والسلطة في الخطاب الذي يجري عبر الثقافات ، حيث ينتمي المشاركون إلى مجموعة عرقية مختلفة والسلطة الخفية في الخطاب اجهزة الاعلام الجماهرية، ويمكن أن تضيف شرطا ذا اهمية حيوية لما سبقه، الا وهو أن السلطة سواء كانت في داخل الخطاب أو من ورائه لا يملكها ابدا وبالقطع فرد واحد أو فئة اجتماعية واحدة، لان السلطة لا تكتسب ولا تمارس الا في غمار الصراعات الاجتماعية ومن خلالها وقد تضيع ايضا من هذا الطريق(فير كلف، مصدر سابق: ص٦٩).

قد يتجلى الصراع حول اللغة في صورة صراع بين انماط خطاب ذوات تنوع ايديولوجي ، وتتسم انماط الخطاب بخصوصية ايديولوجية مثلما تتميز بالتنوع الايديولوجي وخاصة في انماط الخطاب المهيمنة، وللمرء أن يتصور أن الهدف الذي يرمي اليه تمط الخطاب المهيمن اخر الامر هو، كما يقول عالم الأنثروبولوجيا (بورديو) ،"الاقرار بالمشروعية من خلال عدم تبين التعسف" .واذا شئنا التعبير عن الفكرة نفسها لأسلوب اخر اقان يجازا قلنا: اذا هيمن نمط

من انماط الخطاب على مؤسسة ما إلى الحد الذي يتيح القمع أو الاحتواء الكامل تقريبا للأنماط الخاضعة للهيمنة، فلن يراه أحد بعدها نمطا تعسفيا ،بمعنى كونه اسلوبا واحدا من بين عدة اساليب ممكنة لرؤية الاشياء بل سوف ينظر اليه باعتباره نمطا طبيعيا ومشروعا لأنه اسلوب التصرف المتبع وحسب، ويمكن الاشارة إليه كما تم الاشارة لها من قبل الأخرين بمصطلح" تطبيع نمط الخطاب" والتطبيع يعتمد على الدرجة، وقد يتغير مدى تطبيع نمط من انماط الخطاب، وفقا للتحول في ميزان القوى في الصراع الاجتماعي (Bourdieu,1977) و(بورديو، بيير،٢٠٠٧).

أن ممارسة السلطة وتفعيلها في الخطاب من ناحية، وعلى وجود علاقات السلطة من وراء الخطاب من ناحية الأخرى، كما إن السلطة تكتسب ويحتفظ لها اصحابها أو يفقدونها في ضروب الصراع الاجتماعي، وإما من حيث وجود السلطة داخل الخطاب فيجوز لنا أن نقول إن الخطاب هو الحلبة التي تجري فيها ضروب الصراع على السلطة، وإما من حيث وجود السلطة من وراء الخطاب، فإنها تمثل الغاية في الصراع على السلطة، فالسيطرة على نظم الخطاب الية جبارة للحفاظ على السلطة.(فيركلف، مصدر سابق :ص١٠٧).

وبناءا على ما تقدم يمكن قول بان فكرة السلطة من وراء الخطاب يعني بان النظام الاجتماعي للخطاب يصبح كيانا كليا متماسكا بفضل التأثير الخفي للسلطة، والمقصود بذلك في اعلاء مكانة لهجة اجتماعية معينة حتى تصل الى ما يسمى في حالات كثيرة اللغة المعيارية او حتى اللغة القومية.

التحليل السوسيولوجي للغة والسلطة في المجتمع.

يؤكد(أبن خلدون) على العلاقة بين اللغة، والمجتمع واعتبارها علاقة وثيقة و مترابطة، بحيث تتغير اللغة بتغير المجتمع، كونها شديدة الصلة بالممارسة والاستخدام داخل المجتمع، فهي نتاج اجتماعي انساني، لذلك تتطور من خلال استعمالها ، و تختلف باختلاف المجتمعات، اذن هي ملكة تكتسب من خلال التنشئة الاجتماعية(حدد،٢٠١١: ص٩٠) و(محمود،١٩٦٣).

وهذا يعني أن اللغة عبارة عن كائن حي تنمو وتترعرع، اذا ما توفرت لها عوامل الاستمرار، والديمومة، فعندما يتطور المجتمع حضريا، وانتاجيا تتطور اللغة ، والعكس صحيح من خلال هذا تتضح بأنه هناك علاقة تأثير وتأثر متبادلة بين اللغة، والمجتمع، فهي اهم مميزات الانسان الاجتماعية، فكلهما يؤثر في الأخر و يتأثر به، فهناك نوع من التفاعل، والتداخل الذي قد يصل إلى مرحلة التطابق بين سلوك الكلام، والممارسة الاجتماعية، فاللغة هي العنصر الرئيسي الذي يميز المجتمعات البشرية فهي اساس بناء وبقاء المجتمع، كما إنه

ليس هناك وجود للغة خارج نطاق المجتمع، لأنها هي حصيلة اجتماعية ناتجة عن تراكمات تاريخية(مزياني، مصدر سابق:ص١٠-١١).

وأن المساهمات الحديثة في النظرية الاجتماعية، وهي التي استكشفت دور اللغة في ممارسة السلطة والحفاظ عليها وتغييرها، وسوف نشير إلى مساهمات ثلاث وحسب منها، الاولى هي العمل في مجال نظرية الايديولوجيا، وهو الذي اشار من ناحية الى زيادة الاهمية النسبية للإيديولوجيا باعتبارها آلية من آليات السلطة في المجتمع الحديث، وذلك في المقابل ممارسة السلطة بالأساليب القسرية، ومن ناحية أخرى اصبح يرى اللغة باعتبارها مركزا رئيسيا للأيديولوجيا أو المركز الرئيسي لها فعلا ، ومن ثم فهي ذات دلالة كبرى فيما يتعلق بالسلطة، وأما الثانية فهي العمل ذو النفوذ الكبير الذي قام به (ميشيل فوكو) ،وهو الذي ينسب إلى خطاب دورا رئيسيا في نشأة اشكال السلطة الحديثة بشكل خاص وتطورها. وإما الثالثة فهي العمل ذو النفوذ المكافئ الذي قام به (يورجن هابرماس)، اذ إن نظرية الفعل التواصلي التي وضعها تؤكد الاسلوب الذي تستطيع به طرائق الاتصال الشائعة الحالية أن تبشر، على الرغم من تشوبها، بطرائق تواصل بريئة من امثال هذه القيود. وإما القصور الرئيسي الذي يشوب هذه المساهمات من منظور الدراسة النقدية للغة، فهو أنها لاتزال نظرية، بمعنى انها لا تصلح للتطبيق في تحليل نماذج محددة من الخطاب(Atkinson,1984).

وكتب عالم الاجتماع (هارولد جار فينكل) دراسة عن عالم المنطق السليم المألوف للحياة اليومية ، وهو العالم الذي بنى برمته على افتراضات وتوقعات تتحكم في افعال افراد إي مجتمع وفي تفسيرهم لأفعال الآخرين، وامثال هذه الافتراضات والتوقعات مضمرة وقائمة في الخلفية، ومسلم بها، وليست مما يدركها الناس عن وعي، ونادرا ما تصاغ صوغا صريحا، أو افحص صراحة، أو تخضع للتساؤل الصريح، ومنطق السليم للخطاب من المعالم البارزة في هذه الصورة، كما ان فعالية الايديولوجيا تعتمد إلى حد كبير على أنها مزجها بهذه الخلفية القائمة على منطق السليم للخطاب والاشكال الأخرى للعمل الاجتماعي(Garfinkel,h,1967).

وعندما ننتقل إلى علاقة اللغة بالسلطة في العالم المعاصر، يقترح عالم الاجتماع الفرنس(بيير بور ديو) الى قضية العولمة والخطاب أو اللغة فيقول إن العولمة عملية حقيقية ولكنها ناقصة، فهي تفيد بعض الناس واصر البعض الآخر، ويسعى الذين يستفيدون منها إلى توسيع نطاقها، ومن بيت الموارد التي يستخدمونها خطاب العولمة الذي يصورها في صورة توخي بانها اكمل مما هي عليه في الواقع، بل يوحي ايضا لأنها من حقائق الحياة البسيطة التي من المحال علينا أن كنا نتمتع بالعقل السليم أن نتشكك أو نطعن فيها. وهكذا فان خطاب العولمة يتوسل في عملة بالأيديولوجيا، فهو خطاب سلطة، اي إنه خطاب يستخدمه الى جانب موارد فعالة

أخرى مثل التبرعات التي بقدمها للأحزاب السياسية اصحاب السلطة ليزودا من سلكتهم، اضف إلى ذلك أن جانبا مما يسعون إلى تحقيقه يتمثل في عولمة خطاب العولمة، اذ إن مصطلحاتها الاساسية تترجم إلى لغات كثيرة، وتستخدم على نطاق واسع في السياقات المهنية للإدارة والصحافة والتعليم وهام جرا في مجتمعات كثيرة، وما يترتب على هذا كله أن علينا أن نبدي الحذر من تعبير العولمة ،لمعنى اننا نواجه مهمة شاقة تتمثل في فصل الالفاظ الطنانة عن الحقيقة الواقعة، أن صح هذا التعبير (Atkinson,1984,op, cit).

تعدّ الثقافة المعرفة التي نتعلمها من خلال الاخرين سواء كان تعلمنا لها بطريقة مباشرة، وهنا تدخل اللغة باعتبارها الاداة الاساسية التي نستطيع من خلالها تعلم المعرفة ؛ لأنها هي من تنقل الثقافة عبر الاجيال، أو بطريقة غير مباشرة من خلال مراقبتنا للسلوك الاخرين، كما إن الثقافة تعني عندما تؤسس جماعة بشرية معينة طريقة لحياتها، وتكون هذه الطريقة مقبولة و معترف بها بصورة عامة من ملبس و أدأب السلوك و المعتقدات، توصف هذه بأنها ثقافتهم(شهيب،٢٠١٧) .

تختلف الثقافة مثلها مثل اللغة من مجتمع إلى آخر، فلكل مجتمع ثقافة خاصة به، تحمل صفات و مميزات ليست موجودة في مجتمع اخر(التونجري،٢٠١٥:ص١١). هذا ما يجعل الثقافة اساس بناء المجتمعات، وبالتالي فهناك علاقة وثيقة بين اللغة و الثقافة تظهر من خلال:

اولا: يتم التمييز بين الثقافات على اساس اللغة، فوجود جماعات تتحدث لغات مختلفة هذا دليل على و جود ثقافات متنوعة.

ثانيا: تختلف اللغة و اساليب و طرق استخدامها باختلاف ثقافة الافراد، خاصة و أن اللغة هي لسان الثقافة و عنوان الحضارة فمن خلالها نستطيع نقل العلوم بين الامم.

وتؤكد النظرية الانثروبولوجية على لسان احد روادها(فرانز بواس)، على أن اللغة المشتركة بين المجتمعات هي الناقل الاساسي لثقافتهم، وحسب هذا الطرح لا يمكن دراسة ثقافة الشعوب من دون التعرف على لغتهم الخاصة، لأن اللغة فعالة في فهم طبائع المجتمعات الانسانية، هذا ما جعل الانثروبولوجية اللغوية تهتم بدراسة اللغة، وعلاقتها بالبيئة الثقافية التي تنشأ فيها، فضلا عن الدور المتميز التي تقوم به اللغة كوعاء للثقافة.تؤكد نظرية الانعكاس على العلاقة بين اللغة والثقافة، باعتبار ان اللغة هي انعكاس للثقافة التي يصنعها و يستعملها الناس في المجتمع، و وفق هذه النظرية الثقافة لا تحدد بنى اللغة و انما تؤثر في طريقة استعمالها(مزياني، مصدر سابق: ص١٠).

لذا اضحت اللغة اهمية في حياة المجتمعات، وواحدة من العوامل الاساسية في تكوين أي مجتمع كونها تؤدي وظيفة رئيسة تدخل في أن يأخذ أي تجمع للأفراد شكل المجتمع البشري،

ومع كل ذلك فإن للغة لغزا كبيرا واهمية في حياة أي مجتمع، فلم يعدّ أي بلد من البلدان أو شعب من الشعوب العيش بمعزل عن بقية البلدان أو الشعوب الأخرى، فبفضل وسائل الاتصال الحديثة المتطورة واللغة المستخدمة فيها اضحت وسيلة من وسائل الضاغطة لبلورة رأي أو فكرة، أو القيام ببرنامج للمساعدات والتنمية، إلى أن ظهرت عدة محاولات لعدد من الحكومات في تبني المشاريع، وبالذات بعد أن اخذت اجهزة الاعلام المختلفة تعمل على مستوى كوكبي فالكرة الارضية على حد قول "مترشال ماكلوهن" قد أصبحت "قرية صغيرة"(الضامن،١٩٨٩: ص٣٧) و(شرشال،٢٠٠٨).

وفي صلب التحليل الذي اجراه(يورجن هابرماس) للرأسمالية المعاصرة الزعم بانها تتميز الى حد ما بوجود نظم تستعمر حياة الناس وان اهم هذه النظم تضمنت ابعادها فوصلت الى ما يعتبر ازمة، واما النظم فهي المال والسلطة او الاقتصاد والدولة والمؤسسات. لذا فان اشكال استعمار حياة الناس يتكون جانب منها من عناصر الاستعمار في النظام المجتمعي للخطاب، واما النظام المجتمعي للخطاب فهو بناء معين للمقومات المؤسسية لنظم الخطاب، واما الابنية القائمة فيجوز تم تتعرض للهدم في غمار الصراع الاجتماعي(Habermas,J.1994).

لذا فان توجه الى دراسة اللغة يفترض اعطاؤها اهتمامها الى الابعاد الخطابية للاتجاهات الاجتماعية الرئيسة حتى تبت في الدور الذي يلعبه الخطاب في نشأة التغير الاجتماعي وتطويره وتدعيمه، وهذا يعني تركيز انتباهنا على التغييرات في النظام المجتمعي للخطاب اثناء فترة معينة.

الخاتمة

إن مسألة اللغة والسلطة لاتزال قضية مهمة وملحة، ولكن الحياة الاجتماعية شهدت تغييرات كبيرة في العقد الماضي، أدت إلى حد ما إلى تغيير طبيعة علاقات السلطة غير المتكافئة، ومن ثم إلى تغيير برامج الدراسة النقدية للغة، وأن علاقات السلطة على المستوى الدولي والعالمي بصفة خاصة، أصبحت تشكل وتحدد ما يحدث على المستويين الوطني والمحلي إلى درجة تفوق ما كانت عليه الحال، حتى منذ عشر سنوات وحسب، وما تتضمنه من دلالات لمسالة اللغة والسلطة. وليس معنى هذا أن هذه التغييرات تنفي اهتمامات أو تجعلها من القضايا التي تجاوزها الزمن، ولكنها تعني أننا عندما نجري بحوثا في علاقة اللغة بالسلطة في أطر وطنية أو محلية، فلا بد لنا أن ندرك أن هذه الاطر تتعرض للتأثير بالأحداث الدولية والعلاقات القائمة على هذا المستوى، وهذه الاطر يمكن أن تسهم في تشكيل هذه الأحداث والعلاقات.

وبناء على ما تقدم ومن خلال تحليل محاور البحث فقد توصل البحث إلى عدة استنتاجات، منها:

١-إن العلاقة بين اللغة و المجتمع هي علاقة تكاملية مترابطة، ومتلاصقة لا يمكن أن يحدث اي انفصال بينهما، فهي علاقة تأثير، وتأثر كون اللغة هي اكثر الوسائل الاجتماعية اهمية التي يستطيع الانسان من خلالها التعبير عن مكنوناته.

٢- إن العلاقة اللغة بالسلطة بالرغم من متانتها، و صلابتها الا أنها تعرضت في زمن العولمة الى هزة طفيفة، خلقت ما يعرف بإشكالية التواصل اللغوي داخل المجتمع ،و لم تستطيع مقاومة اساليب الاقصاء الذي ادى إلى حدوث انعكاسات سلبية على مجتمع مما هدد بعض اللغات ببقائها كلغة قومية ولغة مجتمعات و حضارة بأكملها.

٣-احدثت التطورات التكنولوجية الحديثة نقلة نوعية، وثورة حقيقية في مجال الاتصال، الامر الذي جعل افراد المجتمع تعيش في ظل عالم تقني، ومجتمع افتراضي تحت شعار ثقافة الأنترنت، ما اثار حفيظة المجتمعات بسبب الاخطار الناجمة عنها نظرا لابتعاد الافراد عن الحيز الواقعي، و التفاعل الحقيقي إلى حيز افتراضي يهدد الثقافات الحقيقية

٤-إن اللغة هي وسيلة الاتصال الوحيدة التي لديها القدرة على التعامل مع مطالب المجتمع ،كما يمكن القول بأنه تشارك و بشكل اساسي في اهم المقومات التي تحدد هوية المجتمعات الانسانية.

٥-أثرت العولمة على الواقع اللغوي في النظام العالمي بشكل كبير من خلال دورها في نشر ثقافة واحدة بقالب واحد جعل العالم يدخل في متاهة الصراع اللغوي، الذي بني على رفض التنوع اللغوي الذي خلق لنا اشكالية التواصل اللغوي داخل المجتمعات، التي تعيش وضعا

لغويا متأزما في درجة التفاعلات الاتصالية من خلال تغير المفاهيم، واصطناع مفاهيم و مصطلحات جديدة وضعت اساسا لخدمة مصالح معينة، ما ادى الى وجود حالة من الانفصام اللغوي.

٦-نشأ علم اللغة الاجتماعي إلى حد ما تحت تأثير بعض المباحث من خارج علم اللغة اهمها الانثروبولوجيا ،وعلم الاجتماع، وكان يمثل رد فعل على التجاهل الذي يبديه علم اللغة الحقيقي للتنوع اللغوي نتيجة للأحوال الاجتماعية، وان جود علاقة قوية بين اللغة و الفاعل الاجتماعي (الانسان)، حيث لولا وجود اللغة ما وجد المتكلمون، فالإنسان يقع تحت رحمة اللغة التي أصبحت وسطا للتعبير عن المجتمع الذي يعيش فيه.

٧-تعدّ مسائل اللغة والسلطة ذوات اهمية جوهرية في فهم النظام الجديد، وفي سياسات النظام الجديد، مادامت للغة اهمية متزايدة في الحياة الاجتماعية، واقترنت تكنلوجيا اللغة بتغيير جوهري مؤكد في النظام المجتمعي للغة في الفترة الحديثة، وظهور اشكال قوية من ضروب الخطاب المهيمنة، وطرائق استخدام اللغة، وانتشار هذه جميعا عبر شتى مجالات الحياة الاجتماعية عبر مختلف البلدان.

٨-مسألة اللغة والسلطة مسألة اساسية وجوهرية في التحليل الاكاديمي للنظام العالمي الجديد وضروب الصراع حوله؛ لأن الحياة الاجتماعية في مطلع القرن الحادي والعشرون تتسم بمفارقة معينة نحو تقنين الخطاب، أي تضيق نطاق اساليب استخدام اللغة ونطاق ضروب الخطاب المتاحة لتمثيل العالم.

وبناء على استنتاجات البحث نقدم بعض المقترحات لحل اشكالية الجدلية بين اللغة والسلطة وعلى النحو التالي:

١. إعادة العمل على تخطيط مناهج تدريس اللغة في سلك التعليم في مراحله المختلفة بما يتلأم مع مخرجات وتطور الحاصل في العالم ، وهذه وبدون شك مهمة كبيرة تقتضي نظرة شاملة ووعيا كبيرا حتى يتم الخروج من إطار التصور التقليدي للإصلاح، وإعادة هيكليته عن طريق وضع استراتيجيات وسياسات تعليمية لا تخضع للأهواء الشخصية، أو الضغوط الوقتية بل يعنى بالتطوير الكامل لوظيفة اللغة في المجتمع كمهنة لها قواعدها ومواصفاتها وأخلاقياتها وظروف عملها.

٢. التركيز على مناسبة الاحتفال باليوم العالمي للغة لإبراز دورها الحيوي والتعارف على طبيعة اللغات في العالم واهميتها في ادراة المجتمعات، بالإضافة إلى ذلك تقليل من حالات الاحتقان وسوء الفهم بين الشوب إلى مجالات اوسع من التعاون وتعزيز الانشطة الايجابية وتقرب المسافات بين الشعوب.

٣. ضرورة ابراز العناية بالمرتكزات التغيير، وتحقيق الوحدة، والتجانس الفكري، والثقافي ،والعقدي بين الشعوب، وذلك من خلال ربط لغات الشعوب بعضها ببعض في المحافل والمؤسسات الدولية .

٤. تقديم برامج عن دور اللغة في المجتمع عن طريق مختلف وسائل التواصل الاجتماعي بنشر تعلم اللغات وابراز اهمية اللغة في التقارب والتواصل الانساني لغرض الهدف في إثارة الاهتمام باللغة ، وقرأته حتى يستطيع الجميع التوجه إليها وتنظيم المسابقات الأدبية والثقافية العامة.

٥. اقامة مؤتمرات وورش عمل وندوات دورية خاصة بالتعرف بدور تنوع اللغات في ادارة المجتمع، وحل الاشكاليات والتقارب بين الافراد والدول من أجل ترسيخ دور اللغة واهميتها بين الشعوب بشكل عام والدول، والحكومات المحلية بشكل خاص، ودورها في استقرار الامم عن طريق احترام المورث الثقافي لكل الافراد والجماعات في المجتمع.

ثبت المصادر

أولا: المصادر العربية

- ابن منظور(د.ت)، لسان العرب،ج٢،مادة(ل. غ. و).
- ابو دوح، خالد كاظم (٢٠١٢)، اللغة، المجتمع، علو الاجتماع، حوار المتمدن، ع٣٩١٢، ٢٠١٢، في http://www.ahewar.org :
- انيس، د. ابراهيم(١٩٦٥)، في اللهجات العربية،ط٣،مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة.
- باي، ماري(١٩٨٣)،اسس علم اللغة، ترجمة وتعليق احمد مختارعمر،ط٢،عالم الكتب، القاهرة.
- بورد يو، بيير(٢٠٠٧)، الرمز والسلطة، ترجمة عبد السلام بنعبد العالي،ط٣،دار توبقال للنشر ،دار البيضاء ،المغرب.
- التويجري، عبد العزيز بن عثمان(٢٠١٥) ، الثقافة العربية والثقافات الاخرى، المنظمة الاسلامية للتربية و العلوم و الثقافة– ايسيسكو، ط٢.
- جعفر، د. نوري(١٩٧١)، اللغو والفكر، مكتبة التومي، الرباط.
- حداد، فتيحة(٢٠١١)،ابن خلدون وآراؤه اللغوية والتعليمية، مخبر الممارسات اللغوية، الجزائر.
- حسام الدين، كريم زكي(د.ت)، اللغة و الثقافة دراسة انثرو لغوية لألفاظ و علاقات القرابة في الثقافة العربية،(الكتب العربية، دون سنة النشر)، ص٤٦.\
- خرما، نايف وعجاج، علي(١٩٨٨)،اللغات الاجنبية تعليمها وتعلمها سلسلة عالم المعرفة، الكويت.
- خرما، نايف(١٩٧٨) ، اضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، عالم المعرفة، ع٩، الكويت.
- السعران، محمود(١٩٦٣)، اللغة و المجتمع رأى و منهج، ط٢، الاسكندرية.
- سورة ابراهيم ،الآية: ٤.
- سورة النحل، الآية: ١٠٣.
- شرشال، عبد القادر(٢٠٠٨) ، " اهمية اللغة و وظائفها في عمليات التواصل قراة في كتاب مدخل الى التحليل اللساني: اللفظ، الدلالة، السياق،" انسانيات، ع١٧–١٨، (٢٠٠٢)، ص٥٩–٦٨.
- شرف، د. عبد العزيز(١٩٧٩)، المستويات اللغوية في الاتصال الاعلامي، المجلة العربية للمعلومات، العدد/٣، القاهرة.

- شهيب، عادل(٢٠١٧)،الثقافة والهوية اشكالية العلاقة و المفاهيم، بتاريخ ٢٠١٧/٣/١٦، متاح على موقع/http://www.aranthropos.com
- الصحاح(د.ت)، مختار الصحاح ،ج٢و٦، دار الحضارة العربية، بيروت.
- الضامن، د.حاتم صالح (١٩٨٩)، علم اللغة، دار الحكمة، بغداد.
- الطائي، د.حاتم علو (٢٠٠٩)، نشأة اللغة واهميتها، مجلة دراسات تربوية، مركز البحوث والدراسات التربوية، العدد/٦، بغداد.
- علم اللغة العام(١٩٨٥)، ترجمة يونيل يوسف عزيز، دار افاق عربية، بغداد.
- فيركلف، نورمان(٢٠١٦)،اللغة والسلطة، ترجمة محمد عناني،ط١،المركز القومي للترجمة، القاهرة.
- القضماني، رضوان(١٩٨٤)،علم اللسان، مؤسسة دار الكتاب الحديث، بيروت.
- كرامش ،كلير(٢٠١٠)،اللغة والثقافة، ترجمة د. احمد الشيمي،ط١، منشورات وزارة الثقافة والفنون والتراث، ادارة البحوث والدراسات الثقافية، دولة قطر.
- كفالي، لويس جان(٢٠٠٨) ، حرب اللغات والسياسات اللغوية، ترجمة: حسن حمز، (لبنان: المنظمة العربية للترجمة، ط١ ،٢٠٠٨) ص٧٨.
- مزياني، صبرينة (٢٠١٧)علاقة اللغة بالمجتمع- واشكالية العوامل اللغوية في المجتمع، مركز الديمقراطي العربي، للدراسات الاستراتيجية والاقتصادية والسياسية، برلين.
- المصمودي، د. مصطفى(د.ت)، النظام الاعلامي الجديد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت.
- ناصف، مصطفى(١٩٩٥)، اللغة و التفسير و التواصل ، سلسلة عالم المعرفة، الكويت.
- هدسون(١٩٩٠)،علم اللغة الاجتماعي، ترجمة: محمود عياد، عالم الكتب،ط٢، مصر.
- الوافي، د. علي عبد الواحد(١٩٤٦)، اللغة والمجتمع، القاهرة.

ثانياً: المصادر الانكليزي

- Althusser, L.(1971) Ideology and ideological state apparatuses .In Lenin and philosophy., new Left Books.
- Athinson, J.M. and Heritage, J.(1984)Structures of social action: studies in conversation analysis, Cambridge University press.
- Bourdieu, P.(1977)Outline of a theory of practice (trans. R. Nice)Cambridge University press.
- Brown, G. and Yule, G.(1983)Discourse analysis, Cambridge University press.

- Chouliarki, L. and Fairclough, N(1999) Descource in late modernity :rethinking critical discourse analysis, Edinburgh University press.
- Coupland ,N. and Jaworski, A.(1997)Sociolinguistics: a reader and coursebook ,Macmillan.
- Fairclough, N. and Wodak, R.(1997)Critical discourse analysis, In T van Dijk(ed) Discourseee as social interaction ,Stage.
- Fairclough, N.L.(2000)Discourse, social theory and social research: the discourse of welfare reform, Journal of S ocilinguistics 4.
- Garfinkel, H.(1967)Studies in ethnomethodology, prentice Hall, Englewood Cliffs, New Jersey.
- Gramsci, A.(1971)Selections from the prison notebooks,(ed. AND trans, By Q. Hoare and G. nowell-Smith)Lawrence &Wishart.
- Habermas, J.(1994)Theory of communicative action vol.1:Reason and the rationalization of society (trans, T. McCarthy),Heinemann.
- Kramare, C., Schulz, M. and O, Barr, W. (1984) Language and power, Sage.
- Mills, S.(1997)Discourse ,Routledge.
- Radford, A .,Atkinson, M,. Britain,D,. Clahsen, H. and Spencer, A.(1999)Linguistics: an introduction, Cambridge University press.
- Raymond Hickey, Language and Society , English Linguistics. University of Duisburg and Essen .www.uni-due.de
- Thompson, JB.(1984)Studies in the theory of ideology, polity press.
- Van Dijk , T.(1997)Discourse as structure and process, Sage.

The dialectic of the relationship between language and political power in contemporary society
An analytical study from a social perspective

Assistant Professor Dr. Hamdan Ramadan Mohammed
Iraq / Mosul University / College of Arts / Department of Sociology

Abstract

The research aimed to identify the nature of the relationship between language and authority in society, since language is the basic element that works either to maintain the unity and cohesion of society by performing its role as a tool that links between generations and reveals the society's customs and cultural levels, or leads to its collapse due to a problematic In linguistic communication within society as the main pillar in the process of communication and interaction, and to treat the paths and implications of the study, we used the descriptive and analytical approach to clarify this.

Therefore, this research is an attempt to arrive at an accurate description of the relationship between language and power within society, as well as addressing a fundamental point in the analysis centered on the problem of linguistic communication in society, which was an inevitable result of the negative effects of the phenomenon of dependency on social structures as a result of openness and Excessive exposure to other cultures and languages without limits or controls, and the researcher reached several conclusions, the most important of which is that social life has undergone great changes in the past decade that led to some extent to change the nature of power relations and then the language at the local and global levels to a degree greater than what was the case. In the past, in addition to the fact that the Internet is a major new medium that led to the emergence of new forms of language communication.

Key words: language, authority, change, society, contemporary.